عن شرقيته، التي التقت، في النهاية، مع الممرضة العربية. هنا تحقّقت شرقيته واتضحت. فبدون اللقاء مع العربي لم يتمّ له تحقيق شرقيته؛ وهذه احدى النقاط المثارة في رواية «مولخو»، عمل يهوشع الاخير، التي أُصدرت سنة ١٩٨٧. فالعربي هو ابن المكان الذي حافظ على سر، ونكهة، المكان، اللذين جلوّا الحقيقة لمولخو المتوزِّع بين زوجته الغربية وحقيقة كونه ابن البلاد الطامح الى البحث عن ذاته، والالتقاء مع العربي في النهاية.

الاثر الايديولوجي العام الذي تركه يهوشع علينا، من خلال رواياته، هو فشل الصهيونية في الاستمرار كأيديولوجيا عملية (على الرغم من تمسّكه بها في تنظيراته ولقاءاته)، والحاح السؤال العربي عليه، وامكانية اللقاء، واجراء مصالحة ضيّقة جداً مع العربي. لقد امتدت الايديولوجيا، هذه، كالظل على معظم أعمال يهوشع. وهو، بهذا، سجّل عالماً روحياً غنياً لصراعاته، كصهيوني ومُصالِحٌ في آن.

عن علاقة الادب بالايديولوجيا والواقع

قد يمتد النقاش حول مدى ايديولوجية (بمعنى ذهنية) كتابات يهوشع، وعملية اسقاط ذلك على الشخصيات لتفوه بما في قلب الكاتب في احيان، ومدى ارتباط الايديولوجيا بتشكيل الرواية وتحديدها؛ لكن الحقيقة هي ان كتابات يهوشع عكست أزمة عامة: أزمة الكاتب المتجذّر في صهيونيته، والذي لا يستطيع ان يحققها في كتاباته؛ وأزمة المجتمع الاسرائيلي الذي ينقض صهيونيته، مع دأبه على تحقيقها. هذان الامران يؤكدان أهمية أدب يهوشع، الذي اصبح بمثابة شهادة دامغة على أزمة الصهيونية، كأيديولوجيا تكاد تلفظ أنفاسها.

من هنا، نرى ان يهوشع لم يقدّم صورة ذاتية (مع ان ذلك وارد جداً) للأزمة التي يحياها ككاتب دولة رسمي، وانما قدّم صورة للتناقضات التي تبذرها الصهيونية في حياة المجتمع الاسرائيلي، الى درجة ان الحرب تحوّلت الى كابوس وهمّ في حياة المجتمع الاسرائيلي، الذي حلم بالجنة على الارض. وبلغت الخيبة من الكيان الصهيوني ذراها بهرب العاشق وببحثه عن حياة هامشية هادئة. كما ان تحقيق آدم لنفسه، اقتصادياً، أدّى به الى عجز روحي، وحتى جنسي، وبدا ان التفكك هو سيّد موقف العائلة.

ان فلسفة المصالحة التي بُنيت، في كتابات يهوشع، بين العربي واليهودي على نحو ايديولوجي، بدت كأنها وليدة عملية قسرية، لأن الحياة يجب «ان تتشبّه بالفن»، على حدّ تعبير اوسكار وايلد. من هذا المنطلق، قام يهوشع بعقد المصالحة، مع انه على ثقة بأن الواقع الصهيوني، والسياسي، ينقضان هذه العملية. وحتى الآن، لم يستطع الأدب العبري ان يعقد عملية مصالحة حقيقية، لأن الأدب طموح، والواقع شيء آخر مختلف. ولا تكفي النوايا الأدبية الطيبة لخلق مثل هذه المصالحات على أرض الواقع.

ان عظمة العربي في كافة قصص وروايات يهوشع هو حب الكاتب للعربي، وقلقه من الوضع الراهن. لكن الحب وحده لا يكفي لاعادة صياغة الواقع. كما ان شخصية نعيم ليست الّا الوهم الذي خلقه الكاتب لنفسه، ليبرهن به على وجود ذلك العربي ذي النزعة الصهيونية الصميمة. وهذا، حتماً، ما أدّى الى تخلخل هذه الشخصية، التي بدت متكاملة في أحيان.

ان موضوع الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي هو موضوع على غاية من الأهمية في أدب